مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أفسس ٥:٨–١٩)

يا إخوةُ اسلُكوا كأولادِ للنور* (فإنَّ ثمرَ الروحِ هو في كلِّ صلاحٍ وبرٍّ وحقٍّ)* مختَبرينَ ما هو مَرضِيٌّ لدى الربِّ* ولا تشتركوا في أعمالِ الظلمةِ غيرِ المثمِرةِ بل بالأحرى وبِّخوا عليها* فإنَّ الأفعالَ التي يفعلونها سِرًّا يقبُحُ ذكرُها أيضاً* لكن كلَّ ما يُوبَّخُ عليهِ يُعلنُ بالنورِ* فإنَّ كلَّ ما يُعلنُ هو نورٌ* ولذلكَ يقولُ استيقِظ أيُّها النائمُ وقُمْ من بينِ الأمواتِ فيُضيءَ لكَ المسيحُ* فانظُروا إذاً أن تسلُكوا بحذرٍ لا كجهلاءَ بل ككحكماءَ* مفتدينَ الوقتَ فإنَّ الأيامَ شريرةٌ* فلذلك لا تكونوا أغبياءَ بل افهموا ما مشيئةُ الربِّ* ولا تسكَروا بالخمرِ التي فيها الدعارَةُ بل امتلئوا بالروحِ* مكلِّمينَ بعضُكم بعضاً بمزاميرَ وتسابيحَ وأغانيَّ روحيَّةٍ مرنِّمين ومرتِّلينَ في قلوبِكم للربِّ.

المزامير في حياة الإنسان المسيحي

يحتلُّ كتاب المزامير مكاناً مهماً في حياة الإنسان المسيحي ويُعتبر أول كتابِ صلاة يستخدمه المؤمن. إنه يذكر بما جاء في بعض الكتب المقدسة في العهد القديم. يشير إلى كتاب التكوين بـ «السموات تذيع بمجد الله والفلك يُخبر بعمل يديه» (مز ١٩:١)، «للرب الأرض وكل ما فيها والمسكونة وجميع ساكنيها. على البحار أسسها وفوق الأنهار أنشأها» (مز ٢٣: ١–٢). أيضًا كتاب الخروج والعدد وتثنية الإشتراع: «أرسل موسى عبدَهُ وهَرون الذي اختارهُ. أقاما بينهم كلامَ آياتهِ وعجائبَ في أرضِ حامٍ» (مز ١٠٥: ٢٦–٢٧). أما قصة يشوع بن نون فيشرحها المزمور المائة والسبعة: «ويُسْكِنُ هناكَ الجياعَ فيُهيِّئونَ مدينةَ سَكَنٍ ويزرعون حقولاً ويغرسون كرومًا فتصْنعُ ثمرَ غَلَّةٍ» (٣٦ و٣٧) وأيضًا أخبار الملوك «هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل، أما نحن فاسمَ الرب إلهنا نذكرُ» (مز ٢٠:٧)... . أما أخبار الأنبياء كلها التي تشير إلى حضور المخلّص فنجدها في «يأتي إلهنا ولا يصمت ...» (مز ٤٩:٣) و«مباركٌ الآتي باسم الرب. باركْناكم مِن بيتِ الرب. الرب هو الله وقد أنارَ لنا» (مز ١١٨: ٢٦–٢٧). يشير المزمور الخامس والأربعون إلى ولادة يسوع من البتول: «اسمعي يا بنتُ وانظري ... لأنه هو سيدكِ فاسجدي لهُ» (١٠ و١١). هذا ما قاله الملاك جبرائيل لمريم: «سلام لكِ أيتها المنعَم عليها، الرب معك» (لو ١:٢٨). وأيضًا يشير المزمور الثاني والعشرون إلى آلام وموت السيد: «لماذا ارتجَّت الأممُ وتفكَّرَ الشعوبُ في الباطل. قامَ ملوكُ الأرضِ وتآمرَ الرؤساءِ معًا على الرب وعلى مسيحِهِ...» (٢:١و٢) «وإلى تراب الموت تضعني ... وعلى لباسي يقترعون» (١٥ و١٨). وأيضًا سبق وخبّر عن صعوده إلى السموات بالجسد في المزمور الرابع والعشرين: «ارْفعنَ أيتها الأرتاجُ رؤوسكنَّ وارتفعنَ أيتها الأبواب الدهريّاتُ فيدخلَ ملكُ المجدِ» (٧) وفي السابع والأربعين: «صعد الله بهتاف الربُّ بصوتِ الصورِ» (٥) وأما في المزمور المائة والعشرة فيخبر عن جلوسه عن يمين الآب: «قال الرب لربي اجلِسْ عن يميني حتى أضَعَ أعداءَكَ موطئًا لقدميك» (١).

العدد ٤٨/٢٠٠٤

الأحد ٢٨ تشرين الثاني

تذكار الشهيد في الأبرار استفانوس الجديد والقديس الشهيد إيرينرخُس

اللحن الأول

إنجيل السَحَر الرابع

الإنجيل

(لوقا ١٨: ١٨–٢٧)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ إنسانٌ مجرِّباً لهُ وقائلاً أيُّها المعلِّمُ الصالحُ ماذا أعملُ لأرثَ الحياةَ الأبديَّةَ* فقالَ لهُ يسوعُ لماذا تدعوني صالحاً وما صالحٌ إلاَّ واحدٌ وهو اللـه* إنَّكَ تعرفُ الوصايا لا تزنِ، لا تقتلْ، لا تسرقْ، لا تشهدْ بالزور، أكرِمْ أباك وأمَّك* فقال كلُّ هذا قد حفِظتُهُ منذُ صَبَائي* فلمَّا سمِعَ يسوعُ ذلك قال لهُ واحدةٌ تَعوزُك بعدُ. بِعْ كلَّ شيءٍ لك ووزِّعهُ على المساكين فيكونَ لك كنزٌ في السماءِ وتعالَ اتبعني* فلمَّا سمع ذلك حزِنَ لأنَّهُ كان غنيًّا جدًّا* فلمَّا رآهُ يسوعُ قد حزِن قال ما أعْسَرَ على ذوي الأموالِ أن يدخلوا ملكوتَ اللـه* إنَّهُ لأسهلُ أن يدخلَ الجَمَلُ في ثَقبِ الإبرَةِ من أنْ يدخُلَ غنيٌّ ملكوتَ اللـه* فقالَ السامِعون فمَن يستطيعُ إذاً أن يَخلُصَ* فقالَ ما لا يُستطاعُ عند الناسِ مُستطاعٌ عند الله.

تأمل

«فانظروا إذاً أن تسلكوا بحذر لا كجهلاءَ بل ككحماءَ مفتدِينَ الوقتَ فإنَّ الأيامَ شريرةٌ. فلذلك لا تكونوا أغبياءَ بل افهموا ما مشيئةُ

كل هذه الآيات التي ذكرناها تُقرأ وتُرتل في الكنيسة، لذلك يشعر الإنسان المسيحي أنها تخصّه لأنها تتعلّق بالمخلّص. لكن ربَّ سائل أن كل ما قيل في الكتب المقدسة الأخرى يتعلّق أيضًا بالمخلّص، فبماذا يمتاز كتاب المزامير عن غيره من الكتب؟! إنه يحتوي أمرًا عظيمًا وهو امتلاكه حركات كل نفس وتغيّراتها وتفاعلاتها. فيه يجد الإنسان صور حياته في مختلف حالاتها وتقلباتها. فمثلاً الإنسان الذي يعيش في ضيق يستطيع أن يختار من أقوال المزامير ما يطابق حاله ويداويه بما يليق به من القول والفعل. فإذا كانت الكتب المقدسة الأخرى تمنع الناس عن فعل القبائح وتوصي بالتوبة والكف عن الخطايا، فإن المزامير يعلّم الإنسان كيف بإمكانه تجنب القبائح وكيف يتوب ويعبّر عن توبته. إذا كان الرسول بولس يقول إن الحزن يصنع صبرًا فكتاب المزامير يعلّمنا كيف نحتمل الحزن وكيف يجرَّب كل إنسان. يدعو كاتب المزامير كل إنسان إلى الاتكال على الله وتقديم الشكر على كل شيء ومن جهة كل شيء.

إذًا الإنسان الذي يتلو كتاب المزامير يعرفُ أنه كتاب إلهي يعلّم الفضيلة والإيمان. لكنه يشعر كأنه هو يكتب آياته ويرتلها، وكأنها محرَّرة من أجله ولا يتعاطاها وكأنها معبِّرة عن شخص آخر ولا محرَّرة من قِبَل غيره، لكنه ينظر إلى المتكلم وكأنه هو الناطق عبره. يقربها إلى الله ناطقًا بها من نفسه وغير عازل نفسه عنها من حيث هي أقوال موسى والأنبياء. الجميل في الأمر أن الإنسان يتلو المزامير وكأنها مرآة يرى فيها حركات نفسه ويحسُّ بها، فإن اقتبلها يوبخه ضميره ويتخشع بتوبة، أو يبتهج لسماعه برجاء الله. ويشكر على المساعدة التي تصير منه للمؤمنين. هكذا عندما ينشد المزمور الثالث يرى أحزان ذاته فيه. كذلك في المزمورين الحادي عشر والسابع عشر يخبر عن اتكاله على الله وصلاته إليه. وإن رنم المزمور الخمسين فكأنه هو القائل أقوال التوبة. ومتى رتل المزامير الرابع والخمسين، والسابع والخمسين، والماية والثاني والأربعين، يظن نفسه أنه هو المطرود والمتأذي وليس غيره، كما يرتل هذه الأقوال إلى الله وكأنها له هو.

إذًا كل مزمور مُلْهَم من الروح، فيه حركات نفوسنا وكأنها أقوالنا. هذه كلها تفوّه بها المرتلون ولعلها لنا رسمٌ ومثال. هذه هي بالفعل نعمة المخلّص لكل إنسان مؤمن أراد أن يخلص. فالإنسان المسيحي ينظر أيضًا إلى يسوع كقدوة ومثال لا بالقول فقط إنما بالعمل أيضًا. لأنه قال: «... تعلّموا مني لأني وديعٌ ومتواضعُ القلبِ» (متى ١١:٢٩). لذلك لا يمكن لأحد أن يجد تعليمًا للفضيلة أكمل من الذي رسمه ربنا في ذاته. هذا ما يؤكده الرسول بولس: «كونوا متمثّلين بي كما أنا أيضًا بالمسيحِ» (١ كو ١١:١).

تعليم الرب يسوع: حياة الكنيسة (تابع)

بعد تحذير الرب يسوع لسامعيه من أن يكونوا سبب عثرة لـ «الصغار المؤمنين» به، ينتقل ليحذرهم أيضًا من احتقار هؤلاء الصغار: «انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار. لأني أقول لكم إنَّ ملائكتهم في السموات كل حين ينظرون وجهَ أبي الذي في السموات» (متى ١٨:١٠). هذا كلام عقائدي عما يُعرف بالملاك

الربِّ» (أف ٥:١٥–١٧).

هنا يحاول بولس الرسول أن ينتزع أكثر فأكثر الشر وأن يقطع رويداً رويداً أساسَ الغضب. ماذا يقول؟ «فانظروا أيضاً أن تسلكوا بحذرٍ». كان يعرف سلوك معلّمه عندما أرسل تلاميذه مثل خراف وديعة بين ذئاب خاطفة، مع ذلك أوصاهم أن يكونوا مثل الحمام. أوصاهم الرب ألاّ يدافعوا عن أنفسهم بل أن يحتملوا كلّ شيء لذلك بالضبط كان يلزمهم مثل هذا التنبيه من قِبَل الرسول. التوجيه الأول كان كافيًا لكي يجعلهم ودعاء فجاء الثاني ليدعمَ الأول من أجل حفظهم من كلّ شرّ.

«أنظروا كيف تسلكون». مدن بكاملها كانت تحاربهم، وقد دخلت الحرب حتى إلى البيوت: الأب ضد ابنه، الإبن ضد أبيه، الأم ضدّ ابنتها والبنت ضدّ أمّها. كلّ ذلك يأتي مما قاله المسيح: «من أحبّ أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني» (متى ١٠:٣٧). حتى لا يعتقدوا أنّه يشير فقط إلى الحروب والصراعات بالرغم من حتميَّة حصولها، يضيف «انظروا أن تسلكوا بحذرٍ». أي خارج تبشيركم لا تفسحوا مجالاً أبداً للعداوة ضدّكم. العظة أو التبشير وحده يمكن أن يصير سبباً للعداوة. في كلّ شيء آخر أظهروا كلّ إكرام وطاعة عندما لا يُعيق ذلك الكرازة. لأنه عندما سيروننا ودعاء في تصرّفنا سوف يخجلون الحارس. فلكل إنسان ملاكه الحارس ولكل مدينة ملاكها. ما يضيفه الرب يسوع على المفهوم اليهودي القديم بوجود ملاك حارس لكل إنسان، أن ملائكة الصغار المؤمنين، الذين يقفون أمام الله كالأطفال، ليسوا ملائكة عاديين، بل من الملائكة الذين ينظرون وجه الآب الذي في السموات. هذا يعني أن «الصغار» عندهم مكانة كبيرة لدى الله، وهو يهتم بهم كما يجب، ولذلك الويل لمن يعثرهم. هؤلاء هم أولاد الله، والله لا ولن يهمل أولاده.

«لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يخلّص ما قد هلكَ» (متى ١٨:١١). لقد تجسد الرب يسوع ليخلّص كل إنسان ضال ابتعد عن هدف حياته الأساسي وهو ملكوت الله. يحتاج الضال إلى عناية أكثر، كما أن المريض يحتاج إلى العناية أكثر من الصحيح الجسم. وعندما يتعافى المريض يفرح الجميع مع الطبيب، هكذا يفرح الرب وملائكته وقديسوه بعودة الإنسان الضال. «ماذا تظنون. إن كان لإنسانٍ مئةُ خروفٍ وضلَّ واحدٌ منها أفلا يتركُ التسعةَ والتسعينَ على الجبالِ ويذهبُ يطلبُ الضالَّ. وإن اتّفقَ أن يجدهُ فالحقَّ أقولُ لكم إنه يفرحُ به أكثرَ من التسعةِ والتسعينَ التي لم تضلَّ. هكذا ليست مشيئةً أمام أبيكم الذي في السموات أن يهلكَ أحدُ هؤلاءِ الصغارِ» (متى ١٨:١٢–١٤). في الناموس الطبيعي لا يترك الراعي جميع خرافه وحدها ليذهب ويفتش عن خروف ضلَّ في الجبال. لكن ناموس يسوع لا يسمح بضلال أحد وهلاكه. كل إنسان «صغير مؤمن» هو عزيز في عيني الله، وإن ضلّ فلا يألو جهدًا لإعادته. ألم يرتضِ الصلب لأجل الضالين؟ فكيف لا يسعى وراء كل فرد ضال؟ هذا ما يحثنا على فعله نحن أيضًا. يقول لنا: «وإن أخطأ إليكَ أخوكَ فاذهب وعاتبهُ بينكَ وبينهُ وحدكما. إن سمعَ منكَ فقدْ ربحتَ أخاكَ. وإن لم يسمعْ فخُذْ معكَ أيضًا واحدًا أو اثنين لكي تقومَ كل كلمةٍ على فمِ شاهدَينِ أو ثلاثةٍ. وإن لم يسمعْ منهم فقلْ للكنيسةِ. وإن لم يسمعْ من الكنيسةِ فليكن عندكَ كالوثنيِّ والعشّارِ» (متى ١٨:١٥–١٧). تعبِّر هذه الآيات عن الموقف العملي للموقف اللاهوتي الذي يقول إن الله لا يريد أن يهلك أحد. على الإنسان أن يسعى بكل جهده أن يتصالح مع إخوته. إن لم يسمع أخوك منك، خُذْ معك شاهدين أو ثلاثة، وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة، أي للجماعة كلها. وإن لم يسمع من الكنيسة «فليكن عندك كالوثني والعشار». أي ليُعزل هذا الشخص وليكن كما الوثني الذي هو خارج الجماعة. المهم أن قرار العزل لا تأخذه أنت لوحدك، بل الكنيسة، الجماعة المسيحية مجتمعة. لهذا يقول الرب بصيغة الجمع: «الحق أقول لكم كل ما تربطونَهُ على الأرضِ يكونُ مربوطًا في السماء وكل ما تحلّونه على الأرض يكونُ محلولاً في السماءِ» (متى ١٨:١٨). أنت عليك أن تسامح وتترك للكنيسة أن تقرر مصير خصمك.

«وأقول لكم أيضًا إن اتَّفقَ اثنانِ منكم على الأرضِ في أيِّ شيءٍ يطلبانهِ فإنَّهُ يكونُ لهما من قِبَلِ أبي الذي في السموات. لأنه حيثما اجتمعَ اثنانِ أو ثلاثةٌ باسمي فهناك أكون في وسطهم» (متى ١٨:١٩–٢٠). علينا أن نقرأ هاتين الآيتين معًا دون أن نفصل بينهما. صلواتنا هي دائمًا إلى الله الآب ولكن من خلال الابن الوحيد يسوع المسيح. نعرف من الكتاب المقدس أن يسوع وحده يقف أمام الله، ولا يستطيع أحد غيره أن يقف أمام الله، وهو وحده يدخلنا إلى

من أنفسهم.

«لا كجهلاء بل كحكماء مفتدين الوقت». لا يقول ذلك من أجل دفعنا إلى النشاط الكثيف بل يقصد ما يلي: الوقت ليس لكم. أنتم عابرون، ضيوف في الحياة الحاضرة، لا تطلبوا إكراماً، لا تطلبوا مجداً، لا تطلبوا سلطة ولا ثأراً. احتملوا كلّ شيء وإلى جانب كلّ ذلك افتدوا الوقت، تخلّوا عن أشياء كثيرة، عن كلّ ما يمكن أن يُطلب منكم. وها أنا أسوق لكم مثلاً على ذلك: افترضوا إنساناً يملك بيتاً بهيًّا وجاء البعض ليقتلوا صاحب البيت. فقدّم لهم هذا الأخير أشياء كثيرة من أجل أن يخلّص نفسه. في هذه الحالة نقول: «إنّه قد افتدى نفسه». أنتم أيضاً لكم أملاك كثيرة وإيمان حقيقي. يهاجمونكم ليخطفوا منكم كلّ شيء. أعطوا ما يُطلب منكم ولكن احرصوا أن تحافظوا على الأهم وهو الإيمان.

وما هي «الأيام الشريرة»؟ إن كان كلّ واحد منّا يعرف ما يحصل معه من شرور سوف يعرف ما هي الأيام الشريرة. شرّ الجسد هو المرض. شرّ النفس هو عمل الرذيلة. شرّ كل شيء هو الفساد الذي يدخل في طبيعة هذا الشيء.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الآب ويشفع بنا أمامه: «لأن به لنا كلينا قدومًا في روح واحد إلى الآب» (اف ١٨:٢).

عبارة «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة» تحمل في طياتها فكرة الجماعة المسيحية المجتمعة مع بعضها، وصلاة الجماعة المجتمعة باسم يسوع لا يرفضها الله. هذا ما اختبرته الكنيسة الأولى، وما نقرأه في الإصحاح الثاني عشر من أعمال الرسل يوضح الفكرة. بعدما قتل هيرودس يعقوب ألقى القبض على بطرس وألقاه في السجن ووضع عليه الحراس، «وأما الكنيسة فكانت تصير منها صلاة بلجاجة إلى الله من أجله ... وإذا ملاكُ الربِ أقبلَ ونورٌ أضاءَ في البيتِ، فضربَ جنبَ بطرسَ وأيقظَهُ قائلاً قُمْ عاجلاً. فسقطتِ السلسلتانِ من يديهِ ... فخرجَ (بطرس) يتبعُهُ» (أع ١٢:٥-٩).

موضوع مسامحة الإخوة المؤمنين بعضهم لبعض ركيزة أساسية لحياة الكنيسة. سأل الرسول بطرس الرب: «كم مرة يخطئ إليَّ أخي وأنا أغفرُ لهُ. هلْ إلى سبعِ مرّاتٍ. قالَ له يسوعُ لا أقولُ لكَ إلى سبعِ مرّاتٍ بل إلى سبعينَ مرةَ سبعَ مرّاتٍ» (متى ٢١:١٨-٢٢). العدد سبعة يدلّ على الكمال، وبالتالي فإن أمر يسوع الغفران «سبعين مرة سبع مرات» يعني الغفران إلى ما لا نهاية. لقد علّمنا الرب سابقًا «إن غفرتم للناس زلاّتهم يغفر لكم أيضًا أبوكم السماوي» (متى ١٤:٦). ومَنْ منّا بلا خطيئة لكي لا يخاف من دينونة الله؟ هذا الكلام يوضح ما سبق عن الذهاب إلى الجماعة لمحاكمة الأخ. يقول لك هنا إنه من الأفضل أن تسامحه لأن خطاياك سوف تجلب عليك حسابًا أكبر. توضيحًا لهذا المفهوم يورد الرب مَثَل المديونين (متى ٢٤:١٨-٣٤)، وفيه حديث عن شخص استدان عشرة آلاف وزنة ولم يستطع ايفاء الدين. تضرّع إلى صاحب المال فسامحه هذا السيد وأطلقه. عندما خرج ذاك العبد وجد شخصًا مديونًا له بمئة دينار أي وزنة واحدة، فطلب ماله ولم يسامحه رغم التضرعات الكثيرة، بل ألقاه في السجن. عندما علم السيد بالأمر أرسل وراء العبد الشرير «وغضب سيده وسلَّمهُ إلى المعذِّبينَ حتى يوفيَ كل ما كانَ لهُ عليهِ. فهكذا أبي السماوي يفعلُ بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحدٍ لأخيهِ زلاّتهِ» (متى ٣٤:١٨-٣٥). كل إنسان منا لديه خطاياه، وجميعنا مديونون أمام الله. هناك خطايا كثيرة نقوم بها، وربما لا نعلمها وسوف يحاسبنا الله عليها. لذا فالأفضل أن نترك للآخرين زلاّتهم القليلة، لكي يغفر لنا الله الكثير في يوم الدين.

البار بورفيريوس الرائي

بمناسبة عيد أبينا البار بورفيريوس الرائي يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأربعاء ١ كانون الأول ٢٠٠٤ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الخميس ٢ كانون الأول في كنيسة أبوينا الباريَن أنطونيوس الكبير وبورفيريوس الرائي في دار المطرانية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb